هدي السلف في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم

كان العرب يعيشون جاهلية جهلاء، في مدلهمة ظلماء، كانوا أسارى شبهات وأرباب شهوات، يعبدون الأصنام ويستقسمون بالأزلام، جهلٌ وكفر، عربدة وسكر، ظلوا على هذه الحال إلى أن بزغ نور الإسلام وسطع فجر الإيمان وتألق نجم النبوة.

ولد الهادي العظيم، فكان مولده فتحاً، ومبعثه فجراً، بدد به الله جميع الظلمات، وهدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وأرشد به من الغواية، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً، وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة.

يا خير من جاء الوجود تَحيَّةً   من مسلمين إلى الهدى بك جاءوا
بك بشر الله السماء فزينت   وتضوعت مِسْكاً بك الغبراء
يا أيها الأمي حسبك رتبة   في العلم أن دانت لك العلماء
المصلحون أصابعٌ جمعت يداً   هي أنت بل أنت اليد البيضاء

ما أعظمه وما أكمله!

هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة، هو خليل الرحمن وصفوة الأنام، لا طاعة لله إلا بطاعته ﴿مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ [النساء:٨٠].

لا يتم الإيمان إلا بتحقيق محبته: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) متفق عليه.

جعله الله على مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فهو أعظم الخلق أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم يداً، وأسخاهم نفساً، وأشدهم صبراً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة: (محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظٍ ولا غليظ ولا سخّاب بالأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء)

تعظيمه حق على المسلمين؛ لأن الله رفع ذكره وأعلى مكانته: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِداً وَمُبَشّراً وَنَذِيراً ۞لّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزّرُوهُ وَتُوَقّرُوهُ﴾ [الفتح:٨، ٩].

قال ابن القيم: "وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما يجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له...".

وقال الإمام ابن تيمية: "إن قيام المِدحَةِ والثناء عليه والتعظيم والتوفير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله".

ولقد ضرب الصحابة وسلف هذه الأمة أروع الأمثلة في تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته،

= يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: (وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه) رواه مسلم،

هكذا يكون تعيظمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن هذا التعظيم عبادة يتقرب بها إلى الله، ولا قبول لأي عبادة حتى يتوفر فيها شرطان هما: الإخلاص والمتابعة، فالإخلاص هو ابتغاء وجه الله، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله والمتابعة هي مقتضى الشهادة بأن محمداً رسول الله ولازم من لوازمها، إذ معنى الشهادة له بأنه رسول الله حقاً: (طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع).

وهذا كمال التعظيم وغاية التوقير، محبة صادقة وثناءٌ عليه بما هو أهله وكثرةٌ لذكره والصلاة والسلام عليه والتأدب عند ذكره، وتعداد فضائله والتأسي بشمائله وتعريف الناس بذلك ليتخذوه قدوة وأسوة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلاْخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب:٢١].

إن البرهان الحقيقي للتعظيم الصادق هو تعظيم ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشريعة القائمة على الكتاب والسنة كما فهمها سلف هذه الأمة، إذ العبرة بالحقائق لا بالمظاهر والأشكال الجوفاء.

هل عظّمه من حلف به وهو القائل فيما رواه أحمد وأهل السنن عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رحمه الله قَالَ: [سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَجُلًا يَحْلِفُ لَا وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ]؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ" [آل عمران:٣١، ٣٢].

= هل عظمه من تخلف عن الجمع والجماعات

= هل عظمه من نظر إلى النساء

= هل عظمه من عكف على آلات الطرب والغناء.

= هل عظمه من طاف بالقبور واستغاث بالأموات

= هل عظمه من حلق لحيته

= هل عظمه من أكل الحرام وما فيه شبهة

= هل عظمه من شرب السجائر والشيشة

=

عباد الله، [إن المحب لمن يحب مطيع] تكون المحبة بقدر ما تتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقص من الاتباع نقص من المحبة، هذا هو المنطق العقلي السليم المتوافق مع نصوص الشريعة.

إنا لنرجو أن نكون من المحبين المعظمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم المتبعين لشريعته، ونسأل الله أن يعيننا على ذلك، كيف لا وقد أنقذنا الله به من الضلالة وهدانا من العمى.

يا رب صل وسلم دائماً أبـــداً   على حبيبك خيـــر الرسْل كلهمِ
محيي الليالي صلاة لا قطعهـــا   إلا بدمع من الإشفاق منسجـــم